فيلسوف أديب أم أديب فيلسوف؟

من خلال نزيف قلم جزائري ومفهوم الزمن في الفكر العربي المعاصر

الدكتور عطية بن عطية

جامعة الجزائر 02

هل نقرأ الأستاذ من خلال اللغة أم اللغة من خلاله ؟

الناظر إلى الألفاظ على أنها حمالة للمعاني، يجزم أن ألفاظه طافحة بأعمقها، وكأن القائل قد عناه بقوله: أما جرير فيغرف من بحر. والفيض المنهمر من نزيف قلم جزائري، بهدير أمواجه لهو فيض لا ينبعث إلا عن أقيانوس هدار. ومع ذلك فأنت تلمس من خلال تناغم جرسٍ موسيقي يتدفق عذوبة وسلاسة، ملكة لغوية جبارة، تأسر القارئ بما تحمل بين طياتها في رصانة أسلوب، وجزالة لفظ، " مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ " من البيان. ومتمعِّنُ هذا النزيف يجزم أن ما يقرأ، نصٌّ مفعمٌ دررًا تتخفَّى برمزية توحي بالتفكير فتجدك أمام فيلسوفٍ أديبٍ، يملك أن يقحمك في زمن رشدي مطلق لينَجِّيكَ من غثائية زمن تفكيكي عربي معاصر، يلفُّهُ لفظ غربي طوع رسمه ليقول لك : أنت تقرأ أديبا فيلسوفا باديسيَّ النشأة.

أولا: قراءة في نزيف قلم جزائري

أودُّ بداية، تقصي منابع الشواهد الشعرية التي ضمنها الأستاذ نزيف القلم الجزائري، من مراتع الشعر العربي، وليس ذلك للتدليل على طول باع الأستاذ بين أدباء العرب فحسب، وإنما لسحب الحكم في حقه على كل المدرسة الباديسية التي اغترف منها حد الإرتواء، فقد أبدى الشيخ علي الطنطاوي في معرض حديثه عن الشيخ البشير الإبراهيمي، شدة إعجابه بأدبيات الشيخ وأثنى ثناء المنبهر بما ضمت المدرسة الباديسية من بحار حافظة أدبائها والمنتمين إليها. وليس الحديث من باب الطرافة عندما نتكلم عن قامة من قامات هذه المدرسة، فالأستاذ من خلال عينات مما ضمنه نزيف القلم، من عيون الشعر العربي، ومن أمثال وحكم، يحيلنا إلى المعين الذي اغترف منه، والبحر الذي يحسن الغوص فيه مستجليا دره.

1. في المقال الأول الموسوم: بدماء القلوب النازفة، تتبدى لنا شخصية الأديب الذي تتفطر ذاته ألما على ما آلت إليه أوضاع أمته، هذا الألم الذي يصل حد التشاؤم الذي يعكس لنا ذاتية الأديب الذي ينطق بلسان مجتمعه، غير أنه يتبدى لك من خلال سحب الظلام التي تلف أفق المثقف، موضوعية الفيلسوف، الناظر بعين التفرس المدركة سنن التاريخ التي لا تستقر على حال مؤلم إلا لتعدوه إلى حال أفضل، وفي معرض هذا السرد لما آلت إليه الأوضاع المأساوية التي تعرض لها الشعب الجزائري خلال عشرية النكبة، على الصعيد الإجتماعي والسياسي

والاقتصادي، ينعى على الأشقاء الذين كانوا . وبحسن ظن منا . يقفون موقف الذي لا يعنيه من أمر الجزائر إلا سماع خبر عاجل تعرضه صحف وقنوات فضائية مثل ما تعرض أخبار ما يحدث في أقاصي الفضاء الخارجي، إذ يستشهد الأستاذ بقول الشاعر:

وإخوانٍ حسبتهم دروعـــاً فكانوها ولكن للأعـــادي

وخلتهم سهاماً صائبـــاتٍ فكانوها ولكن في فـــؤادي

وقالوا: قد صغت منا قلوب لقد صدقوا ولكن من ودادي

والأبيات لعلي بن فضالٍ المجاشعي، رواهما الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار(ص: 428). وهذه الأبيات تنم عن ثقافة ضاربة في أعماق الآداب العربية، شعرها ونثرها. هذه الثقافة التي كما قال عنها مالك بن نبي:" إنما هي الجو العام الذي يطبع أسلوب الحياة وسلوك الفرد فيه بطابع خاص، يتميز به عن الطابع الذي في غيره " [مالك بن نبي: حديث في البناء الجديد]. وهي الثقافة التي أشار الأستاذ إلى أنها تهتز بفعل رياح التشكيك السامة التي تلفح العيون وتصم الآذان حتى لكأنها تحرم على نفسها سماع الآذان كيما لا يقال عنها أنها آذان إسلامية أو عربية.

2. في خضم المبنى والمعنى، وبنظرة الفيلسوف الناقد، يبدوا الأستاذ في هذا المقال متفحصا مدققا، يبني نظرته إلى الجهاد والإرهاب بلغة الأديب المحافظ، الذي يرى في اللغة وليجة إلى التحليل الفلسفي الدقيق، ممنهجا على الطريقة الغزالية تدقيقه للبناء اللغوي للمصطلح المتداول في الثقافة العامة التي شاع استخدامها خلال عشرية النكبة، مشيرا إلى الاستخدام المغلوط للمفاهيم في التداول السياسي الذي كانت وللأسف تنفثه أقلام للإعلام تكتب باللفظ العربي لغة الآخر لتنقل أفكاره وتبث بين أوساط عامة الأمة من المعاني ما لا يتناسب وطبيعة اللسان العربي المبين، أقلام قوم من جلدتنا يتكلمون بلساننا " وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا" غير أن تعابيرهم تحمل بين طياتها أفكار من قد كان لهم بطريق أو بآخر حظ فيما تحملت الجزائر بأبنائها تبعاته، فدفعت ثمنه من دمائها وأمنها، بله ما تحملته من هدر لثرواتها.

ثم، وببراعة الأديب المتفرس يستشهد الأستاذ، معبرا عن التداخل التام بين الأدب والفلسفة بحكمة شعرية لشاعر العرب الأكبر أبي الطيب المتنبي إذ يقول:

وَإِذا أَتَتكَ مَذَمَّتي مِن ناقِصٍ فَهِيَ الشَهادَةُ لي بِأَنِّيَ كامِلُ

ليخلص من تحليله اللغوي، للفظي الإرهاب والجهاد إلى نتيجة مؤداها أن الجمع بين النقيضين ـ وهما في المنطق السليم لا يجتمعان ـ جمع لا يتم إلا في عقول دأبت على التضليل والتدليس، " وجبلت على الخلط والتخليط " وهذا كما قال: مرض في هذه العقول المنحرفة، وهو من قبيل العمى العقلي ـ كما اصطلح عليه روني غينون ـ العمى الذي لا يدرك كنه بلاغة العرب، جناسها وطباقها، ولا يعي التمييز الكائن بين ألفاظ اللغة العربية، فيخلط عن قصد بين ما يربط بينهما خيط لفظي رفيع ويفصل بينهما أفق شاسع من المعنى، كما هو الحال بين لفظي الأصولي والوصولي.

3. وبين شعاع الشمس وظلام اليأس، يصف الأستاذ سفينة الجزائر التي خاضت خلال عشرية النكبات، بحارا متلاطمة من الدماء والدموع، معاناة الذات الجزائرية بين الخيبة والأمل، والتي ليس لها من عزاء تفزع إليه في هذا الخضم المجهول غير الدعاء، حال هذه الذات حال الذين قال الله تعالى فيهم: ((هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)) . " سورة يونس: الآية 22 ". إنك من خلال هذا المقال تلمس التضمين البلاغي الذي قال فيه ابن الأثير الأديب في كتاب: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر في معرض حديثه عن أركان الكتابة: "...وإذا استكملت معرفة هذه الأركان الخمسة [التي هي ـ جدة المطلع والمقطع ـ الإشتقاق في المعاني ـ حسن التخلص والاقتضاب ـ سبك الألفاظ ـ التضمين] وأتيت بها في كل كتاب بلاغي ذي شأن فقد استحققت حينئذ فضيلة التقدم، ووجب لك أن تسمي نفسك كاتباً. وهكذا ينبغي لك إذا أردت أن تسلك هذه الطريق، وقدرت على سلوكها، وهي من محاسن الصناعة البلاغية، وليس فوقها من الكلام ما هو أعلى درجة منها، لأنها ممزوجة بالقرآن لا على وجه التضمين فحسب، بل على وجه الانتظام به، والله يختص بها من يشاء من عباده " . (ص: 235) .

في هذا المقال نجد أستاذنا يشير ببلاغة الأدباء المتمرسين، إلى المشروعين المتصارعين الذين عرفتها الساحة السياسية في الجزائر، المشروع الديمقراطي اللائكي، والمشروع الجزائري الإسلامي. الأول يريد مجتمعا على النمط الفرنسي وإسلاما على الشاكلة المسيحية، وهو المشروع المدعوم من ديمقراطية الغوغاء التي صاغت مبادئه الثورة الفرنسية، غير أن الأستاذ يرى أن هذا المشروع لا يعبر عن هوية الأمة الجزائرية لأنه معزول عن إرادة الجماهير. أما المشروع الثاني، فرغم استمداد قوته من إرادة الشعب، إلا أنه ضعيف من زاوية التموقع السياسي والإقتصادي والإعلامي. ومع عمق الهوة بين المشروعين يضيء شعاع الشمس أملا

في قلوب الجزائريين، ويعكس على صفحاتها خط هلال يرسل بصيص الأمل إلى طريق الخلاص والنجاة، وكعادته يضفي الأستاذ من أدبياته استشهادا شعريا لأبي تمام، أورده أبو منصور الثعالبي في كتاب: التمثيل والمحاضرة (ص: 303):

إن الهلال إذا رأيت نموّه أيقنت أن سيصير بدراً كاملاً

4. في مقال واو العطف: السيف والعصا...الوطنية والخيانة... الإيمان والإلحاد... الثقافة والجهل... هكذا يعدد الأستاذ تكرار واو العطف التي تجمع النقيضين، ويتكرر معها حضور المأساة الدامية بشكل تبدَّى معه نزيف القلم الدامي في صورة تبعث على الجزم أن حجم المعاناة التي تعتصر قلب المثقف الجزائري يطغى على حجم ما يعتمل في عقل هذا المثقف من آلام، فيأتي التعبير عما يجيش في النفس ويختلج في الوجدان، أدبا رفيع المستوى بلغة سلسة بسيطة، تحمل معها عبارة ـ هذا هو السهل الممتنع ـ ولا أدل على أن هذا النزيف يوحي بعاطفة متأججة، طافحة بما يبعثه الألم في صور استشهاداته الشعرية التي يضمنها من حين إلى حين، دون أن يضيع التفلسف في خضم أدبياته، فملامح المفكر منبثة باستمرار عبر هذا النزيف المفعم حسرة وألما. هذا التفلسف الذي نستشفه من خلال لُمَعٍ من الإشكالات التي يثيرها، إذ التساؤل الفلسفي المقترن بالدهشة والحيرة المعرفية التي تبعث على التأمل الجاد، يثير في ذهن المتلقي رغبة في البحث عن الأسباب والعلل، كما يثير التساؤل عن واقع الثقافة رغبة في تحديد الهوية والانتماء. إن واو العطف التي تقرن بين العصا والسيف لتساوي بين المعطوف والمعطوف عليه، أصبحت في ثقافتنا واو إجحاف فقد عاب الشاعر ـ أبو درهم البندنيجي ـ على نفسه هذا الإجحاف في حق ممدوحه فقال:

متى ما أقل مولاي أفضل منهـــــم أكـن للذي فضلته منتقـــــــــــصا

الم ترى أن السيف يزري به الفـــتى إذا قال هذا السيف أمضى من العصا

إذ المنطقي أن لا مجال للعطف أو المفاضلة بين النقيضين أو المتقابلين، فإذا لم تجز المفاضلة أو العطف بين السيف والعصا، فكيف يجوز العطف بين لغة الوطن ولغة المستعمر، أو بين شرع الله وبين قانون البشر. هذا العطف كما يرى الأستاذ، إقرار بأفضلية ما يأتي به الغير عما هو خصيصة من خصائص الذات، هذه الذات التي يرى البعض أنه لا يجوز لها البروز أو حتى التفكير فيه، إلا بواو العطف أو ختم الولاية التي تؤشر به فرنسا لمن تريد وترضى. أما حملة الثقافة العربية، وإن كتب عليهم الدخول في صراع هم براء منه، فمالهم إلا التغني والقول كما قال عمر بن أبي ربيعة:

إن من أعجب العجائب عندي قتل بيضاء حرةٍ عطبــول

قتلت حرةٌ على غير جـــرمٍ إن الله درهـــا من قتيل

كتب القتل والقتال عليـــنا وعلى الغانيات جر الذيول

5. ولا ينزف القلم ألما على الجزائر فحسب، إنما يبدي حسرة وألما على ما حوله من أقاليم، ففي مقال أفريقيا السمراء، يذكرنا الأستاذ بتطلعات المفكر الجزائري مالك بن نبي، غير أن الأستاذ يتناول في هذا المقال طبيعة الغليان الذي تعج به الساحة الإفريقية، الآفات الاجتماعية والصراعات السياسية، الاقتصادية والعسكرية، التي تفكك أوصال القارة العجوز التي لم تلق من أبنائها سوى العقوق والعصيان، وكأن الحطيئة قد عناها بقوله: .....ولقاك العقوق من البنين ... والأستاذ في هذا المقال السياسي لا يغيب عن قلمه مهماز الأدب والشعر وبلاغة المجاز في أسلوبه البسيط الممتنع، مع التضمين الشعري الذي يغرف منه كما يغرف من بحر، ولا عجب فالأستاذ في استرسالاته خير خلف لسلفه الإبراهيمي، إذ لم يغب عن مهماز قلمه رصيد الشعر العربي القديم، يذكرنا باستمرار أنه يعاصر حركة الشعر العربي الحديث، فيضمن جمله ألفاظا ومعاني من شعر نزار قباني، مردفا إياها بقول الشاعر قريط بن أنيف العنبري:

قومٌ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا

يخلص الأستاذ من عرض أوضاع القارة المتردية إلى نتيجة مؤداها أن ما حلَّ بإفريقيا التي أغلب سكانها من المسلمين، لم يقدح في أذهان قادتها أن ما حل بشعوبهم وبلدانهم تحيل إليه القراءة المتفرسة لقول الله " فكلا أخذنا بذنبه " . والأستاذ يختم مقاله بالتساؤل المصحوب بالحيرة، عن غد إفريقيا، وإن غدا لناظره قريب.

6. تأخذ الجامعة والشباب حيزا كبيرا في مقالات الأستاذ وتنزف من قلمه طبيعة العلاقة بين الجامعة والسياسة، وينعى على هذا الطلاق البائن بين الجامعة وبين الممارسات السياسية في بلادنا، ما وصفه بالبدعة السياسية التي تنفث سموما إيديولوجية ونعرات قبلية وجهوية وتذكية النزعات العصبية الضيقة. فالبعد العقائدي والقومي والوطني والاجتماعي والإنساني كلها أبعاد مغيبة في السياسة التي انحرفت بالمسار الجامعي عن هدفه المعرفي والأكاديمي. إن الجامعة كما يقول الأستاذ: " لم تستطع أن تبقى وفية لقواعدها العلمية وضوابطها الأخلاقية " ومن هنا يجدد الدعوة للقائمين على الجامعة ـ ومن ثمة، الدعوة للدارسين الجامعيين ـ بالنأي عما وصفه

بتأثير المحيط الملوث، للقضاء على المظاهر السلبية التي تكبح جماع النهضة المعرفية والعلمية.

وفي مقالات هي من سورة نزيف قلم يألم لما آلت إليه البلاد، فيتكلم تارة عن الصلح بين المتنازعين في هذا البلد، ويحذر الاغتراب منبها بتوجيه المصلح جيلا من الشباب المغترب في بلاد الغرب، ليعود إلى اغتراب المواطن الجزائري في بلده تحت تأثير الدعوة إلى ربيع البربرية، الذي يرى بعين الفيلسوف الناقد البصير أنه دعوة لدخول خريف الثقافة في الجزائر. ثم نجد الأستاذ يخوض بضمير المهتم بانتمائه القومي والإنساني قضايا الأمة الكبرى، فلا ينسى العراق وتتعرض له الأمة العربية من محن متتالية.

ثم يستعرض الأستاذ بقلم المحلل النازف، أهم ما تداوله المثقفون من أفكار سماها ـ فكر الغضب الجزائري، فاستعرض أهم الصرخات التي أطلقها الشيخ البشير الإبراهيمي من خلال كتاب في قلب المعركة، ومحي الدين عميمور من خلال كتاب لله والوطن، ومن خلال كتاب حزب البعث الفرنسي للدكتور أحمد بن نعمان فيلسوف الشخصية الحضارية كما يسميه، فيرى أن صرخاتهم وتنبؤاتهم تسمو إلى مستوى رسالة المثقف النبيلة.

ثانيا: قراءة موجزة في كتاب مفهوم الزمن في الفكر العربي المعاصر

من كتاب مفهوم الزمن في الفكر العربي المعاصر، نكتفي بقراءة موجزة نجعل محورها الفكرة الفلسفية بتأثيراتها ومقارناتها مع تقصي بعض أصولها وانبثاثها في الفكر العربي. فبعد أن يتتبع المصطلح في أبعاده اللغوية. فقد ورد في لسان العرب ما يلي: « الزمن اسم لقليل الوقت وكثيره..والدهر والزمان واحد. وقال أبو منصور: الدهر عند العرب يقع على وقت الزمان من الأزمنة، وعلى مدة الدنيا كلها، والزمان يقع على الفصل من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه... والزمان يقع على جميع الدهر وبعضه[1]». وفي اللسان العربي ألفاظ أخرى تتماثل في دلالاتها مع لفظ الزمان، كما جاء في دائرة المعارف الإسلامية، مثل الوقت، الدهر، الحين، المدة، السرمدية، الأزلية...، وهذه الكلمات المستعملة في اللغة العربية للدلالة على الزمان موجودة في اللغات السامية الأخرى، ما عدا كلمة زمان فهي في العربية فقط[2].

---

[1] . ابن منظور: لسان العرب، بيروت، 1956. ج. 13. مادة زمن، ص، 199.

[2] . دائرة المعارف الإسلامية: مادة زمان.

وتعددت تعاريف الزمان في المعاجم العربية الحديثة وكتب التراث المختلفة المشارب، غير أن ما يمكن أن يلامس من قريب أو بعيد موضوع كتاب الأستاذ، هو التعريف الذي أورده الخوارزمي في مفاتيح العلوم: قال « الزمان مدة تعدها الحركة مثل حركة الأفلاك وغيرها. والمدة عند بعضهم الزمان المطلق الذي لا تعده حركة، وعند أكثرهم أنه لا توجد مدة خالية عن حركة إلا بالوهم[3]»، إذ في هذا التعريف يشير الخوارزمي إلى ارتباطات الزمان بثلاث مقولات هي: الكم (أو العدد) ـ الحركة ـ والمكان.

يحدد الأستاذ جملة قراءات للزمن في ارتباطاتها المختلفة منها: الزمن عند النحويين أمثال سيبويه وابن جني، كما يعرض في الآن نفسه بعض آراء المحدثين أمثال عباس محمود العقاد. الزمن النحوي زمن يتحدد فيه الارتباط بالفعل، فالفعل في اللغة العربية لا يقوم على ما قامت عليه نظرية الفعل في الفلسفة اليونانية، ذلك لأن اللغة العربية كما قال العقاد: هي لغة الزمن[4]. ولا يخفى ارتباط الزمن بالحركة، وهي الفكرة التي أشار إليها الخوارزمي في كتاب مفاتيح العلوم. كما يعرض الأستاذ فكرة الزمن عند فلاسفة اللغة، والمؤرخين والشعراء، والفنانين والمسرحيين ويخلص من هذا كله إلى طبيعة التمفصل الوثيق بين الزمن والفعل.

في الفصل الثاني من الكتاب يحدد ملامح التأثيرات الغربية على الفكر العربي الإسلامي المعاصر، فيرى أن ملامح التأثير الفلسفي اليوناني ما زال يطبع الإطار العام لمفهوم الزمن في الفكر الغربي ، كما يشير إلى التأثيرات الفلسفية المسيحية والغربية الحديثة والمعاصرة والذي انعكست تأثيراتها على الفكر العربي المعاصر عموما. وفي سرد تاريخي متسلسل يستعرض ملامح التأثيرات الفكرية العربية بداية من العقلانية التي كانت بداياتها مع الإصلاحيين والتي تجسدت خاصة في فكر محمد عبده ورشيد رضا والتي كانت ترى في العلاقة بين العقل والدين علاقة تكامل، كما اتخذ لها نموذجا في فكر يوسف كرم من خلال كتاب العقل والوجود[5]. ومن خلال محمد عاطف العراقي في كتاب ثورة العقل في الفلسفة العربية[6]. كما يعرض في إطار العقلانية العربية لفؤاد زكريا وجلال صادق العظم ومحمود قاسم.

يعرض الأستاذ في الفصل الثالث لمفهوم الزمن عند أبرز ممثلي التيار الروحي، قديما وحديثا، فيتناول بالتحليل الفكرة عند التوحيدي والرازي والغزالي، ويعرض لارتباطات الزمن بالعقل

---

[3] . الخوارزمي: مفاتيح العلوم، فان فلوتن، برل 1895، ص، 138.

[4] . عباس محمود العقاد: اللغة الشعرية، مطبع الأنجلو مصرية، القاهرة، 1960. ص83.

[5] . مفهوم الزمن : ص131. 133.

[6] . مفهوم الزمن : ص، 135.

والنفس والروح، ثم يمفصل تموقع الفكرة في الفكر المعاصر، بالإشارة إلى قيمة الزمن في فكر مالك بن نبي. وفي فكر مصطفى محمود، خاصة في كتاب لغز الموت.

نجد أيضا، في الدراسة اهتماما كبيرا بالتيار الذي مثله عبد الرحمن بدوي في فلسفته الوجودية التي منحت للزمن حيزا واسعا من البحث، وعلى خلاف ما أعطاه مصطفى محمود من بعد روحي للغز الموت، فإن بدوي يرى أن الموت يجب أن يكون مصحوبا بدرجة أكبر من التطور الروحي، والزمانية تتعين وفق ثلاث محاور أساسية، الاستقلالية، الاستمرارية والحضور. وهذه الفكرة تعكس أثر المدرسة الوجودية الغربية في الفكر العربي المعاصر. كما يعرض الأستاذ لأثر المدرسة الشخصانية في تطور هذا الفكر خاصة عند محمد عزيز لحبابي ومطاع صفدي.

وكخلاصة للبحث العميق يحدد الأستاذ ثلاث اتجاهات في الفكر العربي المعاصر تناولت مفهوم الزمن وتمفصلاته:

- تيار يتشبث بحنينه للماضي ويمثله التيار السلفي والروحي.
- تيار يعتبر الزمن هما وجوديا وقلقا مستمرا تجسد في فكر الثوريين.
- تيار متطلع إلى المستقبل يرى إمكانية رمي الماضي في مستقبل واعد يتجاوز عناء الحاضر.

خلاصة المداخلة:

نخلص من هذا السرد التحليلي لكتاب الأستاذ . نزيف قلم جزائري وكتاب مفهوم الزمن في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، على تحديد بعض ملامح شخصية الأستاذ والتي تعكسها جملة الأفكار التي تناولها من خلال الكتابين المذكورين:

_ انهمام المؤلف براهن القضايا التي يعايشها المجتمع العربي الإسلامي والتي يلعب الزمن فيها الدور الرئيس في تحديد الهوية.

- قداسة اللغة العربية التي يدافع عنها بأسلوب الأديب البارع وبحجة الفيلسوف الناقد.
- براعة المزج بين الفلسفي والأدبي، فالنظرة الناقدة المتفحصة باللغة السليمة الراقية تجعلنا نقف عاجزين عن تحديد الهوية الطاغية على شخصية الأستاذ: أ فيلسوف أديب هو على شاكلة ابن رشد ؟ أم أديب فيلسوف على غرار أبي العلاء المعري؟

- لا شك أننا نعدم المفاضلة بين الشخصيتين إذ ليس من قبيل التناقض أن يجمع الصفتين باديسي تربي ونشأ بين أحضان جمعية العلماء المسلمين، وبين رشدي أخذ بحظ وافر من الفلسفة العربية الإسلامية وتخرج من أعرق الجامعات الغربية، مثله مثل طه حسين، وعبد الحليم محمود، وهما أزهريان سوربونيان. ولا عجب أن نقول بأن الفيلسوف والأديب كلاهما وجهان لشخصية نادرة هي مفخرة الجزائر. وكما قال جميل صدقي الزهاوي:

ماذا عليك وأنت اليوم مقتدرٌ إذا افتخرت بما أولوك من لقب